نظرية الأدب الهادف

purposeful literature theory

✍إعداد الدكتور

كريم محمد محمد صديق

Karim Mohamed Mohamed Seddik

مدرس لغة عربية بمدرسة الرحمن الخاصة للغات

الإسكندرية - مصر

نظرية الأدب الهادف

كريم محمد محمد صديق

قسم اللغة عربية – مدرسة الرحمن الخاصة للغات – الإسكندرية – مصر

البريد الالكتروني: dockarimseddik@gmail.com

ملخص البحث باللغة العربية:

يناول البحث قضية نقدية تتمثل في ربط الأدب بالأخلاق ، فقد دعا كثير من النقاد إلى أن يكون الإعلاء من شأن الأخلاق الكريمة والبعد عن الرذيلة أحد العناصر التي يقيس بها الناقد العمل الفني ، فحاولت أن أنقب عن هذه الأصوات الداعية إلى ذلك، فوجدتها كثيرة في تراثنا الإسلامي وتراثنا النقدي ، بل ووجدت لها أنصارًا كُثُر في الأدب الغربي قديما وحديثا، فجمعت أقوال المؤيدين لفكرة ربط الأدب بالأخلاق ، وقمت بتفنيد أقوال المخالفين .

الكلمات المفتاحية : الأدب الهادف – تراثنا الإسلامي – نظرية الأدب – الأدب في الغرب– موقف النقاد القدامى من القضية.

purposeful literature theory

Karim Mohamed Mohamed Seddik

Department of Arabic Language - Rahman Private Language School - Alexandria - Egypt

E-mail: dockarimseddik@gmail.com

Abstract:

The research deals with a critical issue represented in linking literature with ethics. Many critics have called for the promotion of decent morals and the distance from vice to be one of the elements by which the critic measures the artistic work. And our critical heritage, and indeed I found many supporters for it in Western literature, in the past and present, so I collected the statements of supporters of the idea of linking literature with morals, and I refuted the sayings of the violators.

Keywords: purposeful literature - our Islamic heritage - literary theory - literature in the West - the position of the old critics on the issue.

نظرية الأدب الهادف

مقدمة

مما لا شك فيه أن قضية ربط الشعر بالأخلاق قد أخذت حيزًا كبيرًا، فكانت قضية نقدية تناولها نقاد العرب قديمًا وحديثا، وكانت منهجًا نقديًا عند علماء الغرب، وفيما يلي أبسط الخلاف بين مؤيدي الفكرة ورافضيها في القديم والحديث.

تبدأ فكرة ربط الأدب بالأخلاق في تراثنا العربي مع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه البعثة المباركة – مع مرور الوقت – استطاعت أن تنشر تعاليمها في أرجاء الجزيرة العربية، فلا عجب بعد ذلك أن نرى الأدب بكل صوره وأشكاله قد أخذ طابعًا أخلاقيًا، فاختفى بصورة مؤقتة كل شعر يتنافى مع ثوابت الدين الحنيف، فهذه الخنساء ترثي أخويها في الجاهلية بصورة تحمل شيئا من رواسب الجاهلية، وقد قيل: إن عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه) دخل البيت الحرام، فرأى الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكي، وتلطم خدها، وقد علقت نعل صخر في خمارها فوعظها، وقال: " إن الإسلام قد غطى ما كان قبله ، وإنه لا يحل لك لطم وجهك وكشف رأسك "[1] .

١ الخنساء – ديوان الخنساء – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط٢ – ٢٠٠٤ م – ص٨٦ .

ولعلّ هذه الواقعة كانت في أول إسلامها ، حيث لم تكن بعد قد عرفت أن الإسلام قد جاء بتحريم النياحة على الميت، فالحزن أمر جبلي قد فطر عليه الإنسان حين يصاب في أحبابه ، ولكن الإسلام ينهى عن مظاهر الجاهلية التي تكون مع وفاة إنسان من تمزيق للثياب، وحلق الشعر، ولطم الخد، ونحو هذا .

فلما حسن إسلامها نراها تبعث بأبنائها إلى معركة القادسية، وحينما بلغها خَبَر استشهادهم في المعركة قَالَت: " الْحَمد لله الَّذِي شرفني بِقَتْلِهِم وَأَرْجُو من رَبِّي أَن يجمعني مَعَهم فِي مُسْتَقر رَحمته " [1].

أما في التراث الغربي، فقد كانت فكرة ربط الأدب بالأخلاق قديمة ، نجدها قبل الميلاد عند الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت ٣٤٧ ق م) ، وفي القرن السادس عشر عند الإنجليزي السير فيليب سيدني (ت ١٥٨٦ م) الذي يعد أكبر المنظرين لهذه القضية في الغرب ، حتى استقرت منهجا نقديا عند كثير من النقاد ، كما نجد صداها في القرن العشرين في أمريكا عند الإنسانيين الجدد .

وفيما يلي أعرض تلك القضية ، مع إيماني الشديد بضرورة ربط الأدب بالأخلاق ، ودور الأديب في تقديم قيمة فيما يقول، تنعكس إيجابيًا على المتلقي، واعتقادي الجازم بأن الأديب حين يكتب ما يكتبه حريص على توجيه رسالة إلى جمهوره ، فلتكن إذا رسالة تعلي من شأن الأخلاق ، أو على الأقل ليس فيها ما يتنافى

١ لويس شيخو اليسوعي – مجاني الأدب في حدائق العرب – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت – ١٩١٣م – ج٦ ص٢٩٦ .

وقواعد الدين، والمتأمل لمسيرة الأدب يجد أنه لا يوجد أدب إلا ويصدر عن نظرة دينية أو فلسفية أو عقدية للكون والحياة والإنسان ، فالأدب على مر التاريخ ينحاز بصورة كبيرة إلى الفكر الذي أنتجه ، لذا لا تبدو الدعوة إلى أدب إسلامي مضبوط بقيود أخلاقية شيئا غير مألوف، بل أمرًا بدهيًا يقتضيه الواقع ويحتمه الشرع .

الأدب الهادف

المبحث الأول

الأدب الهادف في تراثنا الإسلامي

تظهر جليًا عناية التراث العربي بالأدب الهادف الذي يتوافق مع القيم وقواعد الأخلاق، وأول النصوص التي أذكرها هنا هو قول الله عز وجل في سورة الشعراء:

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلغَاوُۥنَ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [1].

والآية التي بين أيدينا لا تحمل ذمًا مطلقًا للشعر والشعراء، وإنما قيدت ذلك بالشعر الباعث على الغواية والضلال، والشعراء الذين يخوضون في الشعر المحرم، من هجاء الأعراض المحرمة، والفخر بالأحساب، والغزل الفاحش، ومدح الرجل بما ليس فيه، إلى غير ذلك، فهؤلاء الغاوون لا يضعون حدًا لما يمكن أن يقال، بل يهيمون بشعرهم في كل واد، وفي كل غرض مباح أو حرام، والقرآن حين يذم هؤلاء الغاوين

١ سورة الشعراء – الآيات (٢٢٤ – ٢٢٧) .

يُتبع هذا الذم باستثناء طائفة من الشعراء المؤمنين، لم يصرفهم الشعر عن التزامهم بدين الإسلام وأخلاقه، فوظفوا شعرهم في الدفاع عن الحق والانتصار للخير [١].

قال أبو العلاء المعري: " وإذا رأيت الشاعر فلا تقل: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ فإن الآية وصلت باستثناء، وجني السيئة شر الجني، لا تجهلوا فضيلة الشعر ؛ فإنه يذكر الناسي، ويحل عزمة الفاتك، ويعطف مودة الكاشح، ويشجع الجبان"[٢].

فأبو العلاء المعري يرى أن للشعر وظيفة أخلاقية فهو يذكر الغافل ، ويصد الفاتك ويحجزه عن النيل من خصومه ، ويحيل عداوة الكاشح إلى عطف ومودة، ويشجع الرجل الجبان على اقتحام ما يخافه، وهو يقر أن ثمة ذمًّا قد يلحق بالشاعر إذاخرج عن الجادة في شعره، وأتى بما لا يليق خلقًا لذا نراه يستثني من الشعر المذموم في الآية ما كان حاديًا إلى الخير محفزًا على الفضائل .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: "قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجبا الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا" [٣]. وقال : " وإن من الشعر حكمة " [٤].

---

١ ينظر عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – دار الهاني للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ – ص٥٩.

٢ أبو القاسم الكلاعي – إحكام صنعة الكلام – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٦م – ص٣٨ .

٣ محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح – دار طوق النجاة – بيروت – لبنان – تحقيق محمد زهير الناصر – ط١ – ١٤٢٢هـ – ج٧ ص١٣٨ – الحديث رقم ٥٧٦٧ .

٤ المرجع السابق – ج٨ ص٣٤ – الحديث رقم ٦١٤٥ .

فأثبت النبي (صلوات الله وسلامه عليه) ما للخطبة والشعر من قوة في التأثير على نفوس الناس، فجعل وقع الخطبة البليغة على النفوس كوقع السحر الذي يخلب الألباب، ويأخذ بالعقول.

وأُعجب (صلوات الله وسلامه عليه) بشعر أمية بن أبي الصلت، وطلب الاستزادة منه حتى سمع مائة بيت، فعن عمر بن الشريد عن أبيه (رضي الله عنه) قال: "ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فقال : هل معك من شعر أمية من أبي الصلت شيء ؟ قلت: نعم، قال : هيه، فأنشدته بيتًا فقال: هيه، ثم أنشدته بيتًا، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت "[1] .

ومعنى الحديث أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيره[2] .

فالرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لم يقف من الشعر موقف عداء، وإنما استجاد الشعر الذي يأتي متوافقًا مع مبادئ الدين، فنراه يقول بعد أن سمع أبيات أمية: " وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم "[3] .

فالميزان الذي وضعه الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) لقبول الشعر ينبغي وضعه في عين الاعتبار ، حيث استجاد من الشعر الذي يتوافق مع ما جاء به

١ مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١ – ج٤ ص١٧٦٧ – الحديث رقم ٢٢٥٥ .
٢ ينظر شرح المحقق – المرجع السابق – ج٤ ص١٧٦٧ .
٣ محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح – ج٨ ص٣٥ – الحديث ٦١٤٧ .

من الهدى ، وما الغضاضة على شاعر دعا في شعره إلى خير ، أو خاض في أغراض الشعر دون المساس بمحرم أو الترويج لمنكر ، فهل يعدُّ هذا تقييدا لحرية الشاعر ؟

وقال (صلوات الله وسلامه عليه) : " أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[1] .

فالنبي (صلوات الله وسلامه عليه) يصدر حكما نقديًا على شطر بيت للبيد بن ربيعة، ويثبت أنه أصدق كلام خرج من شاعر هو هذا الشطر الذي يقول فيه : إن كل ما سوى الله باطل يفنى وإن الله وحده هو الحق الذي ينبغي الإيمان به .

وقال (صلوات الله وسلامه عليه) لحسان : " يا حسان، أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيده بروح القدس "[2].

وقال (صلوات الله وسلامه عليه) لما يعلم من أن هجاء قريش شديدٌ عليها؛ فهي أعظم القبائل قدرًا في جزيرة العرب ، قال لأصحابه : " اهجوا قريشًا فإنه أشد عليهم من رشق النبل " [3].

مما سبق نلمس أن النبي (صلوات الله وسلامه عليه) قد وظف الشعر في الدفاع عن الدين ، لذا نراه يستعين بشعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن

١ المرجع السابق – ج٨ ص٣٥ – الحديث ٦١٤٧ .
٢ المرجع السابق – ج١ ص٩٨ – الحديث ٤٥٣ .
٣ مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – ج٤ ص١٩٣٥ – الحديث ١٥٧ .

رواحة وغيرهما في مواجهة المشركين في هذه المعارك البيانية التي لا تقل أهمية عن المعارك الحربية ، بل تؤازرها في النيل من أعداء الدين ورد كيدهم ، فهو أدب له هدف سام ، ينافح عن الرسول ودينه، ويندد بالشرك وأهله .

وقال (صلوات الله وسلامه عليه) لحسان: " إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله " [١].

فاستعمل النبي (صلوات الله وسلامه عليه) الشعر؛ لينافح به عن الدين؛ ويؤيد به الإسلام؛ وكان له شعراؤه الذين يمثلون السيف البياني الذي يواجه به إساءات المشركين وأعداء الدين.

ويحذر (صلوات الله وسلامه عليه) من الأدب الذي يتنافى مع روح الإسلام، فيقول: " مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت، يا جبريل، من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون "[٢].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: بينما نحن نسير مع رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) إذ عرض شاعر يُنشد، فقال (صلوات الله وسلامه

١ المرجع السابق – ج٤ ص١٩٣٥ – الحديث ١٥٧ .
٢ ابن الأثير – جامع الأصول في أحاديث الرسول – مكتبة دار البيان – دمشق – سوريا – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط – ج٤ ص٥٤٦ – الحديث ٢٦٥٤ .وقد عزاه لمسند أحمد فلم أجده بهذا اللفظ .

عليه): " خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا "[1] (٣) .

وهذا الحديث لا يعني – بلا شك – الشعر كله، وإنما يقصد الشعر الذي يدعو إلى رذيلة أو يتنافى مع الدين، بدليل استماع الرسول الكريم لمائة بيت من شعر أمية بن أبي الصلت.

١ أحمد بن حنبل – المسند – دار الحديث – القاهرة – ط١ – ج١٠ ص٣١– رقم ١٠٩٩٨ .

موقف النقاد القدامى من القضية

باستطاعتنا أن نلمس رسالة الأدب في التراث النقدي عند العرب – تلك الرسالة التي أثبتها القرآن وقررتها السنة النبوية – من خلال الوقوف على بعض النصوص في كتب التراث النقدي، فمن ذلك قول محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه (عيار الشعر) حيث يقول: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف وما مجه ونفاه فهو ناقص..... والفهم يأنس من الكلام بالعدل والصواب الحق والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له"[١].

من خلال هذا النص يمكن لنا أن نقف على وظيفة الشعر وغايته، أو رسالة الأب — عمومًا – عند ابن طباطبا العلوي، فهو يُقدر أن الفهم يأنس من الكلام بالعدل، والصواب الحق، والجائز المعروف، المألوف، ويتشوف إليه، ويستوحش من الكلام الجائر، والخطأ الباطل، والمحال المجهول المنكر، وينفر منه، فإذا كان الفهم – وهو الآلة التي يُحكم بها على الشعر– إنما يأنس بالكلام العدل، والصواب الحق، ويستوحش من الجائر، والخطأ الباطل، لازم ذلك أن تكون المعاني مما يقبلها الفهم العربي، ويلتذ بها، ويأنس لها، وهذا يعني وجوب ترك الشاعر لما ليس بعدل ولا بصواب حق.

١ ابن طباطبا العلوي — عيار الشعر — تحقيق عباس عبد الساتر – دار الكتب العلمية بيروت — ٢٠٠٥م — ص٢٠.

ثمة إشارة أخرى إلى ربط الأدب بالأخلاق نجدها عند ابن قتيبة (ت ٢٦٧هـ) في كتابه (الشعر والشعراء)، حيث حرص ابن قتيبة على تقسيم الشعر إلى أربعة أقسام، حيث يقول: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب، ضرب منه حسن لفظه، وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه، وحلا، فإذا أنت فتشته، لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه، وضرب منه تأخر معناه، وتأخر لفظه"[١](٢) .

وفي هذا التقسيم إشارة إلى محاولة ربط الأدب بمعنى قيم يُهذب العقل، حيث يرى أن للأدب غاية ورسالة هامة تقتضي ضرورة اشتماله على فكرة جيدة، وهذه الفكرة لا ينبغي للضرورة أن تكون فكرة دينية، بل يمكن أن تكون فكرة إنسانية سامية، أو نموذجًا يرتقي بمشاعر الناس وأخلاقهم.

وقدامة بن جعفر (ت ٢٧٦ هـ) في حديثه عن أغراض الشعر أخذ يحدد في كل غرض مجموعة المعاني أو الصفات اللائقة به، فمدح الرجال يكون بالعقل والشجاعة والعدل والعفة، ومن ثم كان القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال الأربعة

١ ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٦٩ .

مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا [1]، ويستشهد قدامة بموقف عبد الملك بن مروان من قول كثير في مدحه:

على ابن أبي العاص دِلاصٌ حَصينةٌ أجادَ المِسدِّي نسجها وأذالها

يئود ضعيف القول حملة قتيديـها ويستظلع القرم الأشم احتمالها.

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي يكرب أحسن من قولك، حيث يقول له:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الزاهدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلمًا أبطالها[2].

وقدامة يوافق عبد الملك بن مروان على أن تصوير الأعشى للشجاعة أجود من تصوير كثيّر؛ حيث اعتمد كثيّر في تصويره للشجاعة على الصفات العرضية من كثرة السلاح والعتاد، أما الأعشى فجعل ممدوحه صاحب شجاعة حقيقية لا تحتمل الأسلحة، أو تتوارى خلف الحصون، فقد استطاع الأعشى أن يجعل ممدوحه مثالاً للشجاعة حين أخفق كثيّر في ذلك .

١ ينظر عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – ص٨٨- وينظرمحمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ – ص١٧١.

٢ قدامة بن جعفر – نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى – دار الكتب العلمية – بيروت – ص٤٣ .

ثمة إشارة أخرى إلى عناية نقادنا القدامى بقضية ربط الأدب بتقديم قيمة خلقية نجدها عند الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) الذي يعلق على أبيات امرى القيس التي يقول فيها:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتُها عن ذي تمائمِ محولِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشقٍّ وتحتي شقها لم يـحوّلِ

حيث يرى الباقلاني أن البيت الأول منهما فيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره ، والبيت الثاني غاية في الفحش ونهاية في السخف ، وأيّ فائدة لذكره لعشيقته ؟ كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ، إن هذا ليبغضه إلى كل من سمع كلامه ويوجب له المقت ، وهو – ولو – صدق لكان قبيحا ، ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن[١].

يقول الدكتور إحسان عباس : " وهكذا يظل الباقلاني متنقلا في الكشف عن عيوب امرئ القيس ، ولكن أكثر ما يهيج غضبه خروج الشاعر عن الجادة الخلقية إلى ما يأنف منه الكريم "[٢].

١ أبو بكر الباقلاني – إعجاز القرآن – دار المعارف – القاهرة – مصر – ١٩٧١م – ص١٦٧ .
٢ إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط ٤ – ١٩٨٣م – ص٣٥٢.

ومسكويه أحد فلاسفة القرن الرابع والخامس (ت٤٢٠ هـ) يتبنى هو الآخر تلك الوجهة فيرفض ما يجره الشعر من ضرر في تربية الناشئين وخاصة ذلك اللون من الشعر الفاحش المليء بالأكاذيب المشجع على اللذات كبعض شعر امرئ القيس والنابغة وأشباههما يقول مسكويه بعد أن يثني على من اتفق له أن يربى على أدب الشريعة وكتب الأخلاق: ومن لم يتفق له ذلك في مبدأ نشوئه ثم ابتلى بأن يربيه والداه على رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات ..... فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيمًا وخسرانًا لا ربحًا"[١].

ومسكويه بوجهته هذه لا ينفي الشعر جملة وإنما يستبقي منه في منهاجه التربوي ما يتلاءم والصحة النفسية والجسمانية، " ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالأدب حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمناه ويحذر النظر في الاشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله وما يوهمه أصحابها أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع فإن هذا الباب مفسدة للأحداث جدًا " [٢].

١ مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب – تهذيب الأخلاق – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ بدون تاريخ – ص٤٩.

٢ المرجع السابق – ص٤٩ .

ويعلق الدكتور إحسان عباس بقوله: "كذلك نرى ابن رشد ومسكويه وهما فيلسوفان قد اتخذا من كلام أفلاطون في نقد الشعر سبيلا إلى تطبيق نظريته على الشعر العربي، ومن ثم فقد وصل كل منهما أن يجنب الناشئة الشعر الي يتحدث عن النسيب أو مدح الطغاة، وابن حزم صاحب النظرة الفقهية قد نفى أكثر أنواعه لاعتقاده بأنها تضر بأخلاق الناشئة، وحيثما كانت الزاوية في النظر إلى الشعر هي التربية نجد الناظرين إليه يستبعدونه لاقتناعهم أنه من العوامل الهدامة أخلاقيًا " [1].

وأبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) أراد هو الآخر أن يجعل للدين تدخلا في المقياس الأدبي حين قال : " ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولًا وفعلًا ونظمًا ونثرًا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله (تعالى)، وتعرض لمقته في وقته "[2].

وبرغم ما أشيع حول أبي العلاء المعري فإننا نراه يتعقب المتنبي في قوله :"

هابك الليل والنهار فلو تد هاهما لم تجرِ بك الأيام

١ ينظر إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص٢٤٢ .

٢ أبو منصور الثعالبي – يتيمة الدهر – تحقيق محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٣م – ج١ ص٢١٠ .

بقوله : يرحم الله أبا الطيب لقد اجتهد في قول الباطل ....ولو أنّ هذا البيت في صفة الله عزّ سلطانه ، لجاز أن ينال بذلك رضوانه "[1].

ويتضح من تعليق المعري على بيت المتنبي الذي تجاوز فيه الحد في نعت ممدوحه على عدم إغفال المعري لهذه النظرة الأخلاقية، فلم يجز لنفسه أن يمر به البيت هكذا، بل رأى المتنبي مخطئا حين منح ممدوحه بعض الصفات التي لا يمكن تعلقها إلا بالله الواحد.

ويلفت نظرنا د/ محمد عبد المطلب إلى عناية حازم القرطاجني هو الآخر بربط الأدب بالأخلاق[2] والغاية الخُلقية والاجتماعية للشعر من خلال تعرضه لوظيفة الشعر عند حازم القرطاجني(ت ٦٨٤هـ) بأنه يحبب للنفس ما يجب أن تحبه ويكرهها فيما يجب أن تكرهه [3]. فالشعر إذا قام بدوره حق قيام يحبب للنفس كل فضيلة، وينفرها من كل رذيلة، على حد تعبير حازم القرطاجني

١ أبو العلاء المعري – اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي – تحقيق محمد سعيد المولوي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية – ص١٢٢٥ .

٢ محمد عبد المطلب – المسيرة البينية للنقد الأدبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠١٧م – ص٢٤١ .

٣ حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٦م – ص٧١.

الأصمعي والجرجاني والرد عليهما

من أشهر المقولات التي تدعو إلى الفصل بين الأدب والأخلاق مقولة الأصمعي : " طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان؛ ألا ترى حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي (صلوات الله وسلامه عليه) وحمزة وجعفر (رضوان الله عليهما) لان شعره ..... وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخيل والحرب والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الخير لان " [1].

يقول الدكتور حامد طاهر معلقا على كلام الأصمعي : "ولا يمكننا أن نوافق على مقولة أطلقها أحد نقاد العرب بشأن العلاقة بين الشعر والدين، إن هذه المقولة غير صادقة، فهناك الكثير من القصائد الدينية التي بلغت مستوى عاليًا من الجودة الفنية، ولا يرجع السبب في ضعف مستوى الشعر إلى أنه يتناول أغراضًا دينية، وإنما السبب الحقيقي يكمن في ضعف مستوى الشاعر نفسه الذي يتعرض لهذه الاغراض

١ المرزباني – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ص٨٥ –٩٠.

دون أن تكون لديه الملكة والمقدرة الفنية ذات المستوى العالي لكتابة شعر متميز فيها"[1].

ويرى الدكتور حامد طاهر أننا بحاجة إلى وضع معايير يتم على أساسها تنقية الشعر العربي وكذلك النثر من النماذج التي لا تتماشى مع المبادئ والقيم، والتي جرى اعتبارها أدبًا إسلاميًا وهي أبعد ما تكون من هذا المصطلح، فشعر أبي نواس في الخمر، وغزليات بشار بن برد الماجنة، ومفاخرات ومنافرات جرير والفرزدق، والمدح المبالغ فيه لدى المتنبي، كل هذا لا يعد من قبيل الأدب ذي التوجه الإسلامي، وإنما يمكن أن يطلق عليه الأدب العربي، أما ما أنتجه هؤلاء من قصائد لا تمس العقيدة أو مبادئ الدين، فهو ما ينبغي أن نقبله، ونُعيد قراءته واستلهامه، وإلى جانب ما سبق ينبغي عدم تجاهل ما أضافته الشعوب العربية خلال تاريخها الطويل من آداب الأمم الأخرى، والتي وجدناها متمشية مع قيم الإسلام، وغير متعارضة معها فما أحرانا ونحن نتتبع مصادر الأدب الإسلامي ألا نغفل عن عملية التطعيم اللازمة للأدب الإسلامي بخلاصة التجارب الأدبية للأمم الأخرى [2].

فما ترجمة كتاب كليلة ودمنة بكل ما يحويه من قيم إلى العربية إلا صورة صادقة لهذا النقد الذي ينتقي من آداب الأمم الأخرى ما يناسب طبيعة مجتمعاتنا

١ حامد طاهر – مستقبل الأدب الإسلامي – نهضة مصر للطباعة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٧م – ص١٦ .
٢ المرجع السابق – ص١٧ .

الإسلامية، فلا شك أن الأدب الهادف ليس حكرًا على أمة دون سائر الأمم ، ولا على عصر دون بقية العصور، بل هو كل أدب يرتقي بالنفس ويعلو بأخلاق المجتمع بقطع النظر عن جنسية قائله أو الزمن الذي قيل فيه .

أما دعوى ضعف المستوى الفني فيما يتم من إنتاجه من أدب إسلامي، فلا يمكن التسليم به على طول الخط؛ لأن الأدب الإسلامي ينبغي أن ينشأ من أجله نقد أدبي إسلامي يراعي أول ما يراعي اتجاه هذا الأدب في أهدافه ومضمونه ثم بعد ذلك يمكن تطبيق الأسس والمعايير النقدية الفنية عليه وهذا يعني أن الأدب الإسلامي يحتاج إلى مستويين من النقد، نقد المضمون ونقد الشكل وهذا ما لم يتم حتى الآن بصورة متكاملة وسيبقى دائمًا أن الأديب الجيد هو الذي يمكنه أن ينتج أدبًا جيدًا وأن الأديب المتوسط أو الرديء يهبط بمستوى الأدب مهما كان مضمونه أو محتواه، إن العبرة هنا تكمن في طريقة التناول وهي بالضرورة تختلف من أديب لآخر وما ذنب الأدب الإسلامي حين يتعرض للكتابة فيه أدباء متوسطون او أقل من المستوى المتوسط، إنه سوف يتحول على أيديهم غلى مجرد مواعظ مباشرة أو قص ممل[1].

إن الغرض الشعري أو المضمون الفكري للقصيدة أو القطعة الأدبية بشكل عام ليست سببًا في انهيار مستواها الفني وإنما السبب يكمن في الشخص الذي تناولها مع الأخذ في الاعتبار أن هناك شاعرًا قد يبدع في غرض معين ويهبط مستواه في غرض

١ المرجع السابق – ص١٩ .

آخر وهذا مشاهد بكثرة في أدبنا العربي، فثم شعراء برعوا في الرثاء وحده أو الغزل أو الهداء وحين كتبوا في أغراض اخرى هبط مستواهم الفني فقد يبدع شاعر في غرض معين ثم يكتب شعرًا إسلاميًا فلا يكون بنفس المستوى الفني وهذا برأيي أفضل تفسير لانخفاض المستوى الفني لشعر حسان بن ثابت بعد دخوله في الإسلام كما يرى الأصمعي إن سلمنا بصحة كلامه. يقول الفارابي: "فمن جبل على المدح صدر منه ذلك عن طبع ولكن ربما اضطر في بعض الأحيان إلى قول الهجاء فيكون قوله له عن قهر والأحمد أن يكون صدور الشعر عن طبع"[1].

أما الدكتور إحسان عباس فبعد أن ذكر أن الشعر عند الأصمعي مجاله الشر ودفاع الصولي عن أبي تمام برغم أنه قليل التدين لا يؤدي الصلوات في أوقاتها ودفاع الجرجاني عن المتنبي الذي يستهتر في شعره ببعض الأمور الدينية طرح الدكتور إحسان عباس سؤالاً أعاد الأمور لميزانها الصحيح، وهو ما موقف الناقد إذا كان يقرأ شعرًا فيه تهجم على بعض المواضعات الأخلاقية أو المبادئ الدينية؟ يرى الدكتور إحسان عباس أننا سنرى بونًا شاسعًا بين النظرية والتطبيق ونجد نقادًا مثل الباقلاني وابن شرف وابن بسام أخلاقيين في معيارهم، فالباقلاني يعيب معلقة امرئ القيس من زاوية أخلاقية ولا يكتفي ابن شرف بذلك بل يرى أن النظر إلى بعض القصائد من الزاوية الأخلاقية إنما هو من صميم الحكم الفني على الشعر وتُحس لدى ابن بسام تحرجه من الناحية

١ ينظر إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص٢٢٤ .حيث لم أعثر على كتاب الفارابي .

الأخلاقية في مقاييسه النقدية وضيقه وتبرمه بكل شعر يظهر منه الإلحاد أو استعمال المصطلح الفلسفي [1].

ويرى إحسان عباس أن الأصمعي قد خالف قوله فعله فإذا كان يرى أن الشعر يلين إذا دخل في باب الأخلاق فإنه كان يتحرج تدينًا أن يروي أي شعر فيه ذكر للأنواء [2]، ومعلوم أن الاعتقاد في أن الأنواء أو حركة النجوم والكواكب تجلب المطر محرم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم حيث فعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مُطِرَ

النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا"[3].

الجرجاني وموقفه من فصل الدين عن الشعر

كان القاضي الجرجاني أوضح الداعين إلى فصل الدين عن الشعر حيث يرى أن الديانة لو كانت عارًا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ولكان أولاهم

١ المرجع السابق – ص٣٧ .

٢ المرجع السابق – ص٥٠ .

٣ مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – ج١ ص٨٤ – الحديث رقم ١٢٧ .

بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر [1].

وأنا أرى أن الجرجاني حين أراد أن يبرر موقفه من الفصل بين الدين والشعر لم يذكر حجة مقنعة، وإنما غاية ما استدل به أنه لا يجوز حذف اسم أبي نواس من سجل الشعراء الكبار، ولا يمكن حذف اسم امرئ القيس ومن حذا حذوه من شعراء الجاهلية، وما الحجة في ذلك؟ بل يحذف أي اسم مهما كان، إذا كان شعره يدعو لرذيلة أو يروج لقبيح، فذكر أبي نواس أو غيره ليس حجة على ما يقول، إذا كنا نروم شعرًا مهذبًا للأخلاق، وأبو نواس – على سبيل المثال – قد عُرف عنه أيضًا أشعار دينية في غاية الروعة، فبإمكاننا أن نأخذ من كل شاعر ما يتفق مع الدين بصرف النظر عن اسم الشاعر ومكانته الأدبية.

آراء بعض نقادنا المعاصرين

رأينا من خلال الصفحات السابقة موقفا صريحا لربط الأدب بالأخلاق عند بعض النقاد المعاصرين مثل الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي في كتابه (أضواء على ثراثنا النقدي) ، والأستاذ الدكتور حامد طاهر في كتابه (مستقبل الأدب الإسلامي) ، والأستاذ الدكتور إحسان عباس في كتابه الجامع (تاريخ النقد الأدبي عند العرب)، وثم

١ القاضي الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٦٤ .

موقف آخر يعلي من شأن الأصول الفنية للعمل الأدبي، أو يبدأ بالأصول الفنية، ولكنه لا يرفض أن يكون للعمل الفني بعدٌ أخلاقيٌ .

نجد ذلك عند الناقد الكبير الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي حيث يقول : " وإذا كان للأدب أن يكون في جانب النبل والفضيلة، فإنه لا يجوز بأي حال أن يتخلى عن رسالته في عالم الذوق الفني والمهارة في البناء، حتى لا يهبط إلى التبشير بفضيلة من الفضائل، أو إعطاء العظات .....لقد كان النبل والشرف والبطولة وخير ما في الضمير الإنساني وأسماه طابعًا مميزًا لما تخلقه في وعيينا آداب اليونان القديمة، وكلنا يدرك مدى ما خلفته مسرحيات أسكيلوس وصوفوكليس من معاني الخير"[1].

فالدكتور العشماي لا يزال يؤكد أن الأدب ليس مجرد وعظ حتى يرتقي إلى مرتبة عالية من الفن، فنراه يقول: " فقد سما شعراء اليونان القدماء إلى مرتبة عالية من الفن وكانوا جميعًا – بطريق غير مباشر – من دعاة الفضيلة الصارمين "[2].

والدكتور العشماوي لا يرى بأسًا في أن يحمل الأدب في طياته لونًا من الفضيلة بشرط أن يُحافظ على ما للفن من رونق يرتقى به ويرتفع، وينأى بالأدب عن أن يكون مجرد وعظ وإرشاد.

---

١ محمد زكي العشماوي – دراسات في النقد الأدبي المعاصر –دار المعرفة الجامعية – بدون تاريخ. ص١٧٠.

٢ المرجع السابق – ص١٧٠ .

هذه النظرة نجدها أيضا عند الأستاذ الدكتورمحمد مندور حيث يقول: "وأما الدعوى الصريحة إلى مبادئ الأخلاق فالملاحظ أنها قلما تصلح قائدًا للسلوك الفردي هذا، وليس معنى إمساك الكاتب عن الوعظ أنه لا يطوي في نفسه حكمًا على ما يقص من أحداث، وذلك أن هذا الحكم يكاد يكون أمرًا لازمًا لا يستطيع أن يفلت منه كاتب من الكتاب ما دام إنسانًا لا آلة راصدة، وربما كان من الخير أن يكتفي الكاتب بهذا الحكم الكامن الذي يطلع القراء من ثنايا ما يكتب، ولو لم يقصد إلى ذلك"[١].

فهو يرى الاكتفاء بما يتضمنه النص من حكم في داخله، ولا يميل إلى عرض المواعظ بصورة تقريرية مباشرة ، ولكن منصهرة داخل العمل الأدبي ، يتذوقها كل قارئ داخل العمل الفني بصورة غير مباشرة .

١ محمد مندور – في الأدب والنقد – نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – بدون تاريخ. – ص٢٩ .

المبحث الثاني

نظرية الأدب الهادف في الغرب

من أشهر المصطلحات التي قدمتها التقاليد الكلاكسيكية للنقد الأدبي مصطلح المحاكاة، حيث تحدد التقاليد الكلاسيكية مفهوم الشعر بل مفهوم الفنون كلها على أساس أنها محاكاة للطبيعة، وهذه المحاكاة هي عند الفيلسوف الإغريقي أفلاطون محاكاة للعالم الحقيقي الوحيد الذي هو عالم المثل، فالشاعر في محاورة إيون عند أفلاطون هو الذي يتفوه بالحقيقة الإلهية، وهو الذي يعبر عن الحق والخير والجمال، وفي نهاية الكتاب الثاني من الجمهورية وبداية الكتاب الثالث يناقش أفلاطون الشعر على أساس تربوي، وهو يرى أن معظم الشعر الموجود في عصره غير مناسب من الناحية الأخلاقية للأهداف التربوية، وسبب ذلك – من وجهة نظره – أن الشعراء في قصصهم عن أبطال التاريخ يصورون نواحي متعددة من الضعف الأخلاقي عندهم، وذلك له تأثير سيئ على عقول الشباب، وفي الجزء الثالث من أجزاء الجمهورية يتحدث أفلاطون عن طريقة التناول الشعري، ويُقسم الشعر إلى ثلاثة أقسام، قسم يحكي فيه الشاعر عن نفسه، وقسم يمزج فيه بين الحكي ومحاكاة الشخصيات، وقسم يقوم بالكلية على المحاكاة التي يخلقها في المأساة والملهاة، ويظهر من حديثه أنه يفضل شعر المحاكاة الخالص من بين هذه الأنواع إذا حاكى كل ما هو خير، وذلك أن حراس الجمهورية المثالية ينبغي أن يتربوا على تقليد ما يناسبهم ويساعدهم على أداء دورهم في

حراسة هذه الجمهورية وهذا التفريق يعني أن أفلاطون يقبل المحاكاة في الملاحم والمسرحيات إذا كانت محاكاة لأشياء ذات قيمة[1].

وكان تصور أفلاطون هذا بمثابة إرهاصات لنظرية ظهرت بعد ذلك في القرن السادس عشر الميلادي على يد السير فيليب سدني في كتابه دفاع عن الشعر، حيث عرف فيليب الشعر بأنه محاكاة هادفة، فالشعر عنده ليس مجرد بناء فني، وإنما يرتبط بوظيفة أخلاقية محددة، فالشاعر يحاكي؛ ليتخذ من هذه المحاكاة وسيلة يهدف بها إلى إمتاع الجمهور، ثم يتخذ من هذا الإمتاع وسيلة يهدف بها إلى هدف تعليمي، ويرى سدني أن الشعر يهدف إلى خلق عالم أفضل من العالم الذي نعيش فيه، فإذا كان عالم الطبيعة من نحاس فإن عالم الشعراء من ذهب [2].

إن خيالات الشعر عند سدني تحول الحقائق الخاصة إلى حقائق عامة، وتقدم الفضيلة بطريقة مفهومة للرجل العادي، ولهذا تُصبح تعاليمها طعامًا سائغًا لأرق المعد، لقد فسر سدني المحاكاة تفسيرًا جديدًا جريئًا مخالفًا للمحاكاة عند أرسطو حين قال: إنها محاكاة الجمهور المتلقي للشاعر المبدع، وليست محاكاة الشاعر المبدع للطبيعة، وإذا كان أرسطو قد اعتنى بالجانب الفني للشعر، فإن سدني يرى الشعر ليس غاية في ذاته،

١ ينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – دار غريب – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٣٩ وما بعدها – وينظر نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – ط١ ٢٠٠٣م – ص٧ وما بعدها .

٢ ينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص ٤١ .

وإنما هو وسيلة لغاية أخرى تعليمية، وقد بنى سدني دفاعه عن الشعر ووظيفته الأخلاقية على ثلاث نقاط رئيسية ، وهي كالآتي :

أولاً: أنه عاد إلى التاريخ فوجد أن الشعر كان من أهم الوسائل التعليمية التي غزت عقول الناس، فساعدت بذلك على نقل البدائيين إلى مراحل حضارية أعلى.

ثانيًا: أنه ناقش الشعر على أساس فلسفي، فوجد أنه قادر على إبراز الحقيقة في صورة حية تُغري باتباعها.

ثالثًا: أنه توصل إلى أن الشعر يثري العقل الإنساني والشخصية الإنسانية، بحيث يُمكّن الإنسان من إدراك الحقيقة، والإحساس بها، والتصرف طبقًا لمقتضياتها[1].

وكان للتفسير الأخلاقي لوظيفة الفن الذي أرسى قواعده كتاب سدني أثر كبير على فترة الكلاسيكية الجديدة؛ إذ أصبحت الفكرة التي دعا إليها سدني من أهم معالم الكلاسيكية الجديدة؛ إذ أصبح مقررًا أن الشعر الذي لا فائدة منه أو لا هدف له شعر لا قيمة له، ولا أدل على تأثر الكلاسيكية الجديدة بأفكار سدني من اهتمامها الشديد بما أسمته العدالة الشعرية، هذه الدعوة التي ظهرت في عام ١٦٧٨م ، والتي كانت تؤمن بأن الخير لا بد أن يكافأ، وبأن الشر لا بد أن يعاقب، وقد أصرت هذه الدعوة على الوظيفة الأخلاقية للأدب باعتبارها وظيفة أساسية لا يكمن معنى الأدب إلا بها، وعلى الأديب – طبقًا لهذه الدعوة- أن يوزع ألوان الثواب والعقاب على نحو

١ المرجع السابق – ص٤٤ .

يجعل الخير دائمًا مثابًا، ويسلم إلى مزيد من الخير، ويجعل الشر دائمًا معاقبًا، ويسلم إلى مزيد من الشر، وذلك من شأنه أن يشجع إلى الخير، ويثبط عن الشر، ولذلك ينبغي أن يعكس الأدب هذه الصورة؛ لأنها صورة حقيقية[1].

والحق أن أثر النظرية الأخلاقية للشعر لم ينقطع في أي عصر من العصور التالية لسدني؛ فقد ظهر عند الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد ١٨٢٢ – ١٨٨٨م الذي ربط الشعر بالأخلاق ربطًا وثيقًا أحله فيه محل الدين نفسه، حيث نادى أرنولد بأن الثقافة هي الوسيلة الوحيدة لتربية الجنس الإنساني، وكانت آراؤه في هدف الشعر التعليمي الأخلاقي فرعًا من فروع نظريته العامة حول الأدب.

عاش أرنولد في عصر طغى فيه العلم التجريبي على كل شيء، وهدد بتدمير العناصر الإنسانية والروحية لدى الجنس البشري، وقد رأى أن الخلاص الوحيد للإنسانية من ميكانيكية العلم والصناعة إنما يكون بالرجوع إلى الشعر، وليس الشعر في نظره غريبًا عن الدين، بل هو عنصر من عناصره المحسوسة، ويمكن أن يقال أنه أقوى هذه العناصر. وعنده أن دور الشاعر في المجتمع المفتوح والذي اتسعت فيه دائرة التربية

١ ينظرمحمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – ص٢٨٣ – ٢٨٤ – وينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٤٤ .

دور تربوي يقوم على إرشاد الإنسانية وهدايتها، وهو نفس الدور الذي يقوم به رجال الدين[1].

وفكرة ربط الأدب بالأخلاق قد لاقت اعتراضًا من مدرسة الفن للفن التي كانت ترى أن هدف الفن ينبغي أن يكون جماليًا محضًا، وهذا الهدف الجمالي المحض منفصل بطبيعته عن الأهداف الأخلاقية وعن أية أهداف أخرى، وقد اعتمدت نظرية الفن للفن على فكرة أن المتعة في الفن أهم من أي هدف تعليمي، وهذه النظرية نستطيع أن نتتبع أُصولها عند بعض النقاد، مثل الإنجليزي شافتسبيري(١٦٧١ – ١٧١٣م)، والإنجليزي وهتشسون (١٦٤٩ – ١٧٤٦م)، والفرنسي ديدرو(١٧١٣ – ١٧٨٩م)، كما نجدها عند المفكر الألماني كانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤م)، والكاتب الأمريكي إدجار ألن بو (١٨٠٩ – ١٨٤٩م)، وبالرغم من أن نظرية الفن للفن كانت احتجاجًا مباشرًا على النظرية الأخلاقية، إلا أن هذه الحملة لم تستطع أن تُحرز انتصارًا بعيدًا، وبقيت فكرة الشعر الهادف أو الأدب الهادف عمومًا تحتل مكانًا بارزًا في النقاش النقدي في القرن العشرين [2].

١ ينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٤٦

٢ ينظر المرجع السابق ص٤٨ – ٤٩ – وينظر نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – ص٤٧٧ وما بعدها .

الواقعية الاشتراكية

في عام ١٩٣٢م فُرضت نظرية نقدية واحدة داخل روسيا، وهي النظرية التي عُرفت في النقد الأدبي بنظرية الواقعية الاشتراكية، وهذه النظرية تُحتم على الأديب أن يصور الحقيقة تصويرًا دقيقًا، وأن يكون واقعيًا يصور المجتمع المعاصر، كذلك تُحتم عليه أن يكون واقعيًا اشتراكيًا يهدف بأدبه إلى نشر الاشتراكية، ومعنى هذا أن الأدب – من وجهة النظر هذه – ينبغي أن يكون أداة أيدولوجية لنشر مبادئ ماركس الاشتراكية على المستوى الجماهيري الواسع، وللأدب عن هؤلاء الاشتراكيين طبيعة ووظيفة قريبتان إلى حد كبير من طبيعة الأدب ووظيفته اللتين وردتا في نظرية سدني؛ فهو مثالي بمعنى أنه يرينا الحياة لا كما هي عليه في الواقع، وإنما كما ينبغي أن تكون عليه طبقًا للنظرية الاشتراكية، وهو تعليمي، بمعنى أنه يُقدم تعاليم معينة، ويهدف إلى تقديم فائدة محددة[١].

وحديثي عن الأدب الواقعي الاشتراكي ودعوته لربط الأدب بأفكار الشيوعية لا يعني قطعا الموافقة على ما يروجونه من أفكار ، بل هو مجرد رصد لهذا المنهج الذي يرفض أن يكون الأدب مجرد وسيلة للاستمتاع والتسلية دون أن يكون له دور في تغذية العقل البشري بأفكار يدعو إليها الأديب من خلال عمله الفني .

١ ينظر نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – ص٧١١ – وينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر ص٥٠.

ولا أستطيع أن أختم الحديث عن نظرية الأدب الهادف في الفكر الغربي دون الإشارة إلى حركة الإنسانيين الجدد التي يمكن أن تُعتبر أثرًا لاتجاه ماثيو أرنولد الأخلاقي في الشعر، وقد قامت هذه الحركة في العقد الثالث من القرن الماضي باعتبارها رد فعل ضد التطرف الفردي عند الرومانتيكيين، ويدعو روادها – من أمثال الأمريكي بابت والأمريكي مور والأمريكي فويرستر – إلى الاهتمام بالقيم الإنسانية، ومهمة الأدب عندهم أخلاقية، ومن أهم ما يدعون إليه كذلك ضبط النفس وتقليد النماذج الممتازة في الأدب[١] [٢].

١ ينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٥٥ .

٢ عرض الأستاذ الدكتور محمود الربيعي الأدب الهادف في الغرب عرضا مستفيضًا بما لا يسمح للاستزادة، وقد استفدت من بحثه استفادة جمة، وإن كان لا يرى ضرورة من ربط الأدب بالقيم السامية ، وإنما ينحاز لمدرسة الفن للفن ، وقد علق في كتابه نقد الشعر (ص٦١) على كلام الجرجاني في هذه المسألة بقوله: " النقد العربي القديم قد قال كلمته ، وهي كلمة لا ترى ربطا أو زواجا بين الأدب وأية أهداف أخرى غير فنية " والرد على هذا الرأي قد بسط في هذا البحث.

خاتمة البحث

عرض البحث لقضية من قضايا النقد الأدبي ، وهي قضية ربط الأدب بالأخلاق ، وقد دعا البحث إلى ضرورة ذلك ، مستشهدا بالقرآن والنصوص النبوية التي لا يمكن إغفالها بأي حال ، ثم تناول البحث آراء ثلة كبيرة من النقاد القدامى الذين أيدوا الفكرة ، وقام بتفنيد حجج المعارضين ودحضها ، ثم دلف البحث إلى آراء النقاد العرب المعاصرين الذين أيدوا الفكرة أمثال ، وإلى الذين لم يرفضوها شريطة عدم الإخلال بالأصول الفنية للعمل الأدبي ، ثم انتقل البحث إلى آراء النقاد الغربيين بداية من أفلاطون الذي حتّم ذلك ، ومرورًا بالسير فيليب سيدني الذي أرسى دعائم النظرية ، ثم تبعه ماثيو أرنولد ، وجاءت الواقعية الاشتراكية التي رأت في الأدب أداة أيدلوجية لنشر أفكارها وليس للتسلية فقط ، ثم ظهرت في الولايات المتحدة حركة الإنسانيين الجدد الذين ربطوا أدبهم بمضمون أخلاقي .

وقد توصل البحث إلى أن أصوات الداعين إلى ربط الأدب بالمضمون الأخلاقي كثر ، وليس كما يدعي بعض النقاد المعاصرين من أن النقد العربي القديم قد خلا تماما من دعوة كهذه ، ولكنها دعوة لم تأت بصورة مباشرة ، وإنما جاءت في ثنايا التعليق على النصوص الأدبية ، ومن ثم تغافل عنها بعض المعاصرين مكتفين بترديد كلام الأصمعي والجرجاني والذي جاء الرد عليه مبسوطا في هذا البحث، أما في الغرب فقد ظهر جليا أن أصواتا كثيرة قد تبنت الفكرة ، ليس من قبل أفراد فقط ، بل من قبل مدارس كاملة آمنت بالفكرة ، وروجت لها .

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير – جامع الأصول في أحاديث الرسول – مكتبة دار البيان – دمشق – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط .
٢- ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر – تحقيق عباس عبد الساتر - دار الكتب العلمية بيروت – ٢٠٠٥م .
٣- ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط١ .
٤- إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط٤ ١٩٨٣م .
٥- أحمد بن حنبل – المسند - دار الحديث – القاهرة – ط١.
٦- الباقلاني أبو بكر محمد بن جعفر – إعجاز القرآن – دار المعارف – القاهرة – مصر – ١٩٧١م .
٧- الثعالبي – أبو منصور عبد الملك بن محمد – يتيمة الدهر - تحقيق محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٣م .
٨- حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – دار الغرب الإسلامي – بيروت - ١٩٨٦م
٩- حامد طاهر – مستقبل الأدب الإسلامي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –ط١ ٢٠٠٧م.
١٠- الخنساء – ديوان الخنساء – اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس - دار المعرفة – بيروت – ط٢ – ٢٠٠٤ م .
١١- عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – دار الهاني للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ .
١٢- عبد العزيز الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ط١.

١٣- قدامة بن جعفر – نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ .
١٤- الكلاعي أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي – إحكام صنعة الكلام – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٦م .
١٥- لويس شيخو اليسوعي – مجاني الأدب في حدائق العرب – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت – ١٩١٣م .
١٦- محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح – دار طوق النجاة – بيروت- تحقيق محمد زهير – ط١.
١٧- محمد زكي العشماوي – دراسات في النقد الأدبي المعاصر – دار المعرفة الجامعية – ط١ .
١٨- محمد عبد المطلب – المسيرة البينية للنقد الأدبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ط١ – ٢٠١٨م .
١٩- محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ .
٢٠- محمد مندور – في الأدب والنقد - نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة – ط١.
٢١- محمود الربيعي – في نقد الشعر – دار غريب – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ .
٢٢- المرزباني أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (المتوفى: ٣٨٤هـ) -الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١.
٢٣- مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب – تهذيب الأخلاق – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ .

٢٤- مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١.
٢٥- المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله - اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي – تحقيق محمد سعيد المولوي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية – ط١.
٢٦- نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – ط١ ٢٠٠٣م .

References:

1- abn al'uthir - jamie al'usul fi 'ahadith alrasul - maktabat dar albayan - dimashq - tahqiq eabd alqadir al'arnawuwt.
2- abn tabatiba aleulawi - eiar alshier - tahqiq eabaas eabd alsaatir - dar alkutub aleilmiat bayrut - 2005m .
3- abn qutaybat aldiynuriu - alshier walshueara' - tahqiq 'ahmad muhamad shakir - dar alhadith - alqahirat - ti1 .
4- 'iihsan eabaas - tarikh alnaqd al'adabii eind alearab - dar althaqafat - bayrut - lubnan - ta4 1983m .
5- 'ahmad bin hanbal - almusanid - dar alhadith - alqahirat - ta1.
6- albaqilani 'abu bakr muhamad bin jaefar - 'iiejaz alquran - dar almaearif - alqahirat - misr - 1971m .
7- althaealibiu - 'abu mansur eabd almalik bin muhamad - yatimat aldahr - tahqiq muhamad qamihat - dar alkutub aleilmiat - bayrut - lubnan - ta1 - 1983m .
8- hazim alqirtajani - minhaj albulagha' - dar algharb al'iislamii - bayrut - 1986m
9- hamid tahir - mustaqbal al'adab al'iislamii - nahdat misr liltibaeat walnashr waltawzie - alqahirat -t1 2007m.
10- alkhansa' - diwan alkhansa' - aetanaa bih washarhah hamdu tmmas - dar almaerifat - bayrut - ta2 - 2004 m .
11- eabd alhamid hindawi - 'adwa' ealaa turathina alnaqdii - dar alhani liltibaeat walnashr - alqahirat - t1 .

12- eabd aleaziz aljirjani - alwisatat bayn almutanabiy wakhusumih - matbaeat eisaa albabi alhalabi - alqahirat - ta1.
13- qudamat bn jaefar - naqd alshier - tahqiq muhamad eabd almuneim khufajaa - dar alkutub aleilmiat - bayrut - ta1 .
14- alkilaei 'abu alqasim muhamad bin eabd alghafur al'iishbiliu - 'iihkam saneat alkalam - tahqiq muhamad ridwan aldaayat - dar althaqafat - bayrut - lubnan - 1966m .
15- luis shikhu alyasuei - majaani al'adab fi hadayiq alearab - matbaeat alaba' alyasueiiyn - bayrut - 1913m .
16- muhamad bin 'iismaeil albukhariu - aljamie alsahih - dar tawq alnajaat - bayrut- tahqiq muhamad zuhayr - ta1.
17- muhamad zakii aleashmawiu - dirasat fi alnaqd al'adabii almueasir - dar almaerifat aljamieiat - t1 .
18- muhamad eabd almutalib - almasirat albayniat lilnaqd al'adabii - alhayyat aleamat lilkitab - alqahirat - ta1 - 2018m .
19- muhamad ghunaymi hilal - alnaqd al'adabiu alhadith - dar nahdat misr liltibaeat walnashr - alqahirat - t1 .
20- muhamad mandur - fi al'adab walnaqd - nahdat misr liltibaeat walnashr alqahirat - ta1.
21- mahmud alrabiei - fi naqd alshier - dar gharib - alqahirat - ta1 - bidun tarikh .

22- almarzibaniu 'abu eubayd allah bin muhamad bin eimran bin musaa (almutawafaa: 384hi) -almuashah fi makhidh aleulama' ealaa alshueara' - dar alkutub aleilmiat - bayrut - lubnan - ta1.
23- maskawih 'abu eali 'ahmad bin muhamad bin yaequb - tahdhib al'akhlaq - dar alkutub aleilmiat - bayrut - ta1 .
24- muslim bn alhajaaj alniysaburiu - sahih muslim - tahqiq muhamad fuaad eabd albaqi - dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut - lubnan - ta1.
25- almaeariy 'abu aleala' 'ahmad bin eabd allah - allaamie aleaziziu sharh diwan almutanabiy - tahqiq muhamad saeid almulawi - markaz almalik faysal lilbuhuth waldirasat al'iislamiat - almamlakat alearabiat alsaeudiat - ta1.
26- nabil raghib - mawsueat alnazariaat al'adabiat - alsharikat almisriat alealamiat lilnashr lunjman - tu1 2003m .